سليمان البستاني

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ اليان في كليتنا

القسم الاول: الرجل (تابع)

٨ في الولايات المتحدة

استقباله — مرضه — وفاتهُ (١٩٢٤—١٩٢٥)

« والتفَّ رجال العلم والادب في نيويورك حول ضيفهم التفاف الجند حول العلم » (جريدة السائح)

وما نزل البستاني الى برّ الولايات المتحدة حتى احتفلت بقدومه الجالية السورية واللبنانية هناك احتفالاً لا تدري مثيلهُ . فتنافست رسته الحر ... ت له الحفلات الشائقة فكان موضوع اعجاب كل من عرفه . وان من يطالع المقالات الضافية في الصحف الاميركية يتحقق مقدار اعتبار العلم والادب في تلك البلاد . وحمل معه الى العالم الجديد تاريخه الكبير وبعض مؤلفاته الخطية فكان يجيل فيها الآخر مرَّة قلم التصليح . وبين الفرصة والاخرى كان يُملي مذكراته باللغة الانكليزية على السيدة ماري ابنة اخيه سعيد وعقيلة السيد ميشال خليل البستاني

وطُفيَ نور عينيه فلازم المنزل فكان يجتمع حولهُ كتَّاب نيويورك وادباؤها فيستنيرون بنوره ويلتقطون الجواهر من دور حديثه حتى اصبح مقرُّه كعبة الادب العربي في تلك المدينة الزاهرة . . . وكم من حديث معه وعنه نُقل الينا على صفحات «الهدى» او «السائح» او غيرهما يشفّ عمَّا أولاه اولئك الادباء من الاعتبار وعمَّا كان يفيض عليهم قلبهُ الطافح من انوار المعارف الساطعة . وكأنهُ صوَّر نفسه في شخص هوميروس اذ ذكر سفر نابغة اليونان واشتداد الانواء على سفينته والتجاءه الى جزيرة «يوس» فقال : « فاقامرا (اي هوميروس ورفقاؤه) اياماً في مكانهم واهل الجزيرة يتهافتون افواجاً لمحادثة هوميروس وقد بلغ بهم الاعجاب منتهاه لما كان ينثر عليهم

من غرر الاقوال ودرر الامثال » (١

واقعده المرض فما ازداد زوّاره الّا غيرة ولطفاً وادباً وكأني بهم ارادوا ان لا يفوتهم شيء من اشعّة هذه الروح النيّرة قبل ان تقطع امامهم مرحلتها الاخيرة . . .

وظهرت برقة امل في ذلك الديجور فتحسنت صحة المريض نوعاً وورد الى بكشتين في اواسط ايار سنة ١٩٢٥ كتاب من السيدة ماري البستاني تقول فيه ان صحة عنها تقدّمت كثيراً وانها لم تره قطّ بمثل تلك الطمأنينة

ولكن سرعان ما اثبت الواقع خيبة هذا الامل . فما كان اول حزيران حتى ارتجّت اسلاك البرق حاملةً الى العالم وفاة الرجل الكبير بينما كانت روحه الطاهرة تطير نحو خالقها مستريحةً من ضوضاء هذه الدنيا . ولم نعلم هل هناك مرض خاصّ المّ به في آخر ايّامه بل جلّما قيل انه توفي اثر تعبه وإضنائك جسمه بالاعمال المتواصلة . وقيل انهدمات عقيب قلع ضرس من اضراسه . وعلى كل فان ذاك الجسد كان اصبح اضأل من ان يحوي فيه تلك النفس الكبيرة

« واذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الاجسامُ »

٩ اكرام الجثمان

« فتح الموت حين أغمض عينيه م عيون الورى على حسناته » (ايليا ابو ماضي)

(في نيويورك) توفي سليمان البستاني نهار الاثنين الواقع فيه اول حزيران سنة ١٩٢٥ وله من العمر ٦٩ سنة وثمانية ايام فخُنّطت جثته كي تُرسل الى لبنان فتُدفن مع آبائه واجداده

واذ كانت في نيويورك عُرضت في قاعة الكنيسة المارونية اجابةً لطلاب الراغبين في رؤيتها . ونهار الخميس في ٤ آب نُقلت الى كنيسة القدّيس شارل دي بوروميو حيث صلّى عليها الاكليروس الماروني برئاسة الخوري اسقف خيرالله اسطفان . وارسل قناصل فرنسا وتركيا ومصر في نيويورك مندوبين عنهم للاشتراك في المأتم . ووصفت الجرائد الاحتفال وصفاً ضافياً يضيق المقام بايراده

(١ مقدمة الالياذة (ص : ١٥)

وكان اهل الفقيد في نيويورك ومنهم ميشال البستاني زوج ابنة اخيه وخليل اسعد البستاني قد ازمعوا على ارسال الجثة في القريب الى بيروت. فجزع المهاجرون لان الوقت لم يكُ يسمح لهم ان يقوموا بالواجب وهم لم يرضوا بهذا المأتم مع فخامته بل ارادوا ان يشتركوا جميعهم على اختلاف طوائفهم ونزعاتهم في وداع الراحل الكريم. وعلمت شركة «فابرلين» بعزم اهل الفقيد على ارساله فبعثت كتاباً الى وكيلها في نيويورك السيد ابراهيم حتي هذه صورته:

«السيد ابرهيم حتي — ٦٠ شارع واشنطون — مدينة نيويورك

سيدي العزيز:

علمنا بواسطة الجرائد بوفاة سعادة سليمان بك البستاني وعلمنا ايضاً بان جثمانه سينقل الى بيروت. وبما ان باخرتنا «آسيا» متجهز الى بيروت رأساً في ١١ حزيران فاننا نعتبر من الشرف ان تنقل جثمان سعادته الى وطنه واذا سادت ما نرضه قبولاً تفضلوا باطلاعنا على التفاصيل التي ترافق نقل الجثة الى الباخرة

لكم باخلاص

س. دبليو الن وشركاه»

فشكروا لها هذه المنة. وأرسل السيد فؤاد البستاني الى الجنرال ساراي برقية هذه ترجمتها.

«صاحب السعادة الجنرال ساراي المفوض السامي — بيروت — لبنان

الرجو منكم إشعار القنصلية الفرنسوية العامة في نيويورك باجازة ارسال جثمان المرحوم سليمان البستاني الى بيروت

فؤاد البستاني»

ثم تأخر الجواب عن ميعاد سفر الباخرة «آسيا» فسُرّ المهاجرون اذ رأوا ان الحظ يساعدهم باكرام الفقيد اكراماً لائقاً به فاجتمع صحافيوهم وكبارهم وألفوا لجنة سمّوها «لجنة سليمان البستاني». فاتى اعضاؤها وهم مختلفو الطوائف من الاعمال اعظمها ترتيباً واتقاناً واخذت بالاستعداد للسادس من تموز وهو موعد تشييع الجثمان الى الباخرة «سينايا» التي قدمتها شركة فابر فنشرت الدعوات في الجرائد مفصّلة كل ما سيجري فكانت حفلة الوداع من ارق الحفلات وادعاها لاثارة الحزن والاسف افاضت في وصفها الصحف النيويوركية افاضةً ما وراءها زيادة لمستزيد

(بين نيويورك وبيروت) وسارت «سينايا» حاملة الرفات الجليل تتبعها زفرات

المهاجرين، وما وصلت الى ثغر بروفيدانس وهو آخر الثغور التي ترسو فيها قبل استئنافها السفر الى بيروت حتى صعدت اليها الوفود القادمة من المدن المجاورة للتيمم بواجب الوداع الاخير للفقيد الكبير (المراسل الهدى في ٨ تموز)

(في بيروت) واطلت سينايا على بيروت عصر الاربعاء في ١٥ آب فخفقت لها القلوب وشخصت العيون وهي ترجو لو أتيح لها خرق تلك الحُجُب الكثيفة لتتمتع برؤية ذاك الضرير النائم نومة الابد . . .

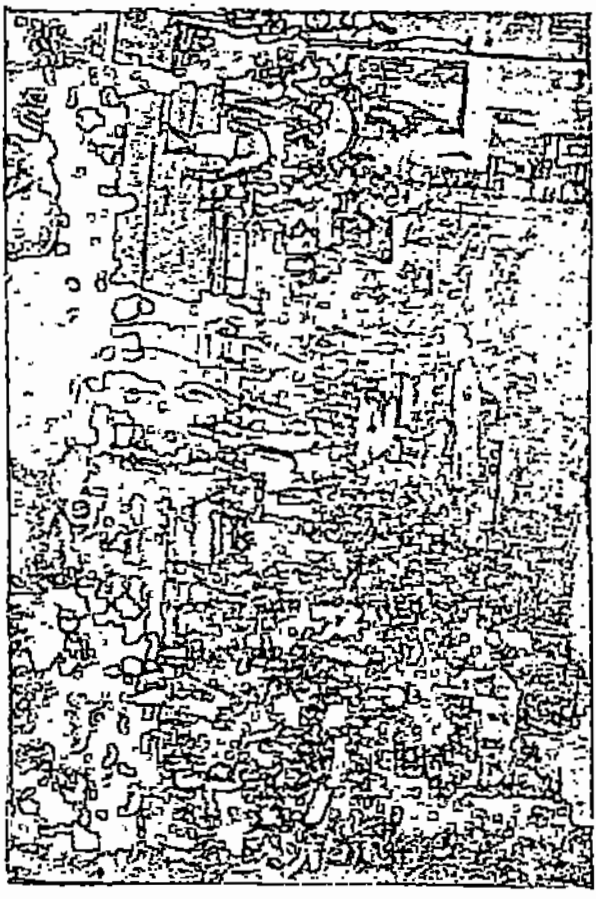

صورة استقبال اهل بيروت رفات البستاني

وكان قد اتى بيروت من مصر الاستاذ الدكتور سليم بك البستاني شقيق الفقيد

ومعه الاديب نبيل ابن اخيه الدكتور عبدالله بك. وهبطها من بكشتين والدبية ودير القمر وبعض قرى الشوف واقليم الخروب الوفود العديدة لاستقبال الجثمان. فنُقل صباح الخميس الى المحجر الصحي حيث اودع الى الساعة الرابعة مساء. وفتح التابوت الخارجي فظهر الفقيد من وراء تابوت الزجاج بهيئته الطبيعية المهيبة ولم يؤثر في ملامحه شيءٌ الا بعض الاصفرار

وكانت الجمعية الخيرية المارونية اخذت على عهدتها امر السير به الى كاتدرائية القديس جرجس فتمَّ ذلك بكل ترتيب

واذ وصل الموكب الكاتدرائية قام بالمراسيم الدينية سيادة المطران اغناطيوس مبارك وغبطة بطريرك السريان ولفيف الاكليروس الموقر وقد ضاقت الكاتدرائية على رحبها الجماهير الحاضرين . وأبن الفقيد في الكنيسة حضرة الخوري يوحنا الحاج بعد ان قرأ برقية غبطة البطريرك الماروني. وفي المساء اقيمت حفلة ادبية يأتي ذكرها

(الى المقر الاخير) ما ازفت الساعة السادسة من صباح الجمعة في ٧ آب حتى سارت سيارة تقلّ جثمان الفقيد تظلها الاكاليل وتتبعها سلسلة طويلة من السيارات ووجوهها السعديات حيث نُقل منها النعش على الاكفّ الى بكشتين. سقط رأس الفقيد وسقط جثمانه . . .

ووصل الموكب قرب الظهر الى تلك القرية وهناك جموع تموج وجماهير تعجّ آتية من اكثر من ثلاثين ضيعة وكلها مشتركة بين اسلام ودروز ومتاولة ونصارى. فأبن الكثيرون منهم الراحل الكريم. اما جثمان الفقيد الكبير وهو لا يزال بهيئته الطبيعية فقد اودع غرفته الخاصة التي كان يكتب فيها معظم الاياذته . . .

وهكذا فانَّ سليمان البستاني بعد ان جاب اطراف البلاد ودرس حياة مختلف الشعوب طيلة سبعين عاماً عاد الى شعبه الذي خرج منه ولم يسترح الّا في بلده الذي وُلد فيه . . . ولا غرو فهو القائل :

لا يستقرُّ الطيُّ في فلواتهِ حتى يعاود وِرده المبرودا (١)

(١) عبرة وذكرى (ص : ١١٢)

١٠ الميت الحيّ

«هل رأيتم او هل سمعتم قديمًا ان شخصًا يكون ميتًا وحيًا؟
ذا سليمان فهو بيتٌ وحيٌّ جادهُ الغيثُ كل آنٍ وحيّا»

(نعوم البستاني)

اجل هو ميت حي. حيّ بمآثره الغرّاء. حيّ بتآليفه العديدة. حيّ بخدماته لبني قومه واعماله في سبيل وطنه. وعلى هذا فقد ابى قومه ان يدعوه ينتقل من حياة الدنيا الى حياة الخلود دون ان يبرهنوا عن اعتبارهم لشخصه وصفاته واعماله

(الصحف) وكان اول من نعاه جريدة «الهدى» فكتبت عنه الفصول الطوال

وقد اصدرت جريدة السائح في ٢٢ حزيران ١٩٢٥ عددًا خاصًا بالفقيد صدّرته برسمين له: احدهما يدوي بريشة الفنّان العصري جبران خليل جبران يمثل رأس الفقيد وهو على فراش الموت والثاني شمسي يمثله في آخر ايام حياته. وقد كتب في هذا العدد كل من السادة جبران خليل جبران. وليم كاتسفليس. ميخائيل نعيمه. ايليا ابو ماضي. عبد المسيح حداد صاحب الجريدة

وقد اصدرت مجلة «الاخلاق» النيويوركية عددًا خاصًا ايضًا وذلك عن شهر حزيران وقد كتب فيه كل من السادة: يوسف مراد الخوري. نعمه الحاج. يعقوب روفائيل صاحب المجلة. جرجي نقولا باز. الخوري منصور اسطفان. الشيخ عباس ابي شقرا. مسعود سماحه. الدكتور فيليب حتي. نعوم مكرزل. حبيب كاتبه. والعدد مزين برسمين للفقيد ورسم للحفلة الاكرامية التي اقيمت له في نيويورك

وكذلك جريدة «دير القمر» اصدرت عددًا خاصًا في ١٤ آب ١٩٢٥ صدّرته ايضًا برسمين للفقيد وكتب في ذاك العدد كل من السادة خليل مطران. الاستاذ بولس غانم. مراد ابي نادر. نعوم افرام البستاني صاحب الجريدة. كاتب هذه السطور

(المحفلات) امّا الحفلات الدينيّة المقامة لاراحة نفس البستاني فقد ذكرناها في محلها الّا حفلة مصر التي أقيمت في ١٢ حزيران وحضرها لفيف الاكليروس الماروني مع حضرة العلامة الاب خليل اده اليسوعي واما الحفلات الادبية فها وصفها حسب تاريخ اقامتها

﴿ في الولايات المتحدة ﴾ كانت نيويورك وهي محل موت الفقيد السابقة الى تكريم ذكراه فاقامت حفلتين ادبيتين اعدّت الاولى منهما الجامعة الاميركية السورية مساء الثلاثا في ١٦ حزيران ١٩٢٥ فتكلم فيها كل من السادة الدكتور الياس مسلم رئيس الجامعة . وليم كانسفليس . المستر هنري مورغنتر سفير الولايات المتحدة في الاستانة سابقاً وصديق الفقيد . الدكتور خليل عساف بشاره . ايليا ابو ماضي فتلا قصيدة غاية في البلاغة قال فيها :

فتح الموت حين اغمض عينيه م عيون الورى على حسناته
فهو ماض له جلالة آت من فتوحاته ومن غزواته
والفتى البقريّ يولد اذ يو لد في مهده ويوم وفاته (١)

وفي ٦ تموز يوم تشييع الجثة اقيمت الحفلة الكبرى في قاعة بروسبكت حضرها زهاء عن شدة الحرّ ثمانمائة من سادة وسيدات . وتكلم فيها كل من السادة الخوري منصور اسطفان كاهن الفقيد . المستر جان هيلان محافظ مدينة نيويورك . المتقدم في الكهنة باسيليوس خرباوي . الارشيمندريت برنردوس غصن . الدكتور اللاهوتي خليل عساف بشارة . يوسف . مراد الخوري . الدكتور فؤاد شطاره تكلم بالانكليزية وتلا تأبيناً وارداً من المنتدى السوري الاميركي في سنسيناتي اوهايو . السيد اسعد الملكي ابن وتلا تأبين السيد جبران خليل جبران المتغيب عن المدينة . الشيخ عباس ابي شقرا . الدكتور عبد المسيح منصور

وورد على اللجنة برقيات عديدة منها واحدة من المطران جرمانوس شحاده وما بقي من جمعيات مختلفة . وقدم من بوغنسي (نيويورك) وفد يمثل المنتدى السوري الاميركي (٢)

﴿ في الارجنتين ﴾ وأرادت اميركا الجنوبية ان يكون لها حظ شقيقتها الشمالية في تكريم ذكرى فقيد الامة . فاقامت الجالية السورية اللبنانية في توكمان حفلة فخمة وحفتها الجرائد العربية والارجنتينية وفي مقدمتها « السلام » وصفاً مفصلاً فذكرت انها

١) راجع جريدة « السائح » النيوركية في ١٨ و ٢٣ حزيران ١٩٢٥

٢) راجع نشرة « لجنة سليمان البستاني التذكارية » في « الهدى » في ٢٨ تموز وجريدة « الهدى » في ٧ تموز و « الشعب » في ٨ تموز ١٩٢٥

أقيمت في ٢٠ تموز . تكلم فيها كل من السادة نجيب بعقليني . سليم سعد . نسيب اسطفان . جورج عساف . الاب مبارك مارون . لطف الله البستاني

﴿ في بيروت ﴾ وكانت الحفلة الكبرى معدة لبيروت التي عرفته صغيراً وشاباً وكهلاً . لبيروت التي دافع عنها في مجلس المبعوثان سنتين متواليتين فاجتمع مساء ٦ آب ادباؤها واديباتها في نادي مدرسة الاحد وتكلم كل من السادة : جورج نقولا باز . جبران التويني انشد قصيدة خليل بك مطران بمصر . رشيد بك نخله . الشيخ ابراهيم منذر . جميل بك بيهم . فؤاد بك حمبه . الاستاذ بولس غانم . انطون بك شحيبر . محمد كامل شعيب العاملي . حليم دموس . امين نخله . وختم الحفلة نسيب الفقيد الاستاذ وديع البستاني بخطاب شكر (١)

﴿ في المكسيك ﴾ واقامت جالية المكسيك في ٨ آب حفلة تذكارية لم ترد نا تفاصيلها ولم نقف منها الا على قصيدة الاستاذ محبوب الخوري الشرتوني فرأيناها حسنة

﴿ في البرازيل ﴾ وابى البرازيل الا ان يشترك في تلك الحفلات التي تردّد صداها من الولايات المتحدة الى الارجنتين الى المكسيك الى مصر الى لبنان وسوريا فقام النادي [illegible] بحفلة فخمة في ١١ آب تكلم فيها كل من السادة قيصر جراب . فوزي المعلوف . الدكتور سعاده . الياس فرحات . الدكتور فيليب حتي . رشيد سليم الخوري (٢)

(التمثال والمشروع) ما كاد الموت يغمض عيني البستاني حتى قام الادباء في المهجر والوطن يبثون فكرة نصب تمثال للفقيد الكبير يكون محجة للادباء وقبلة لمكرمي الصفات السامية . وانتهى صدى هذه الفكرة الى جميع البلاد العربية فكتب الامير شكيب ارسلان من مرسين بتاريخ ١٢ حزيران يقترح اقامة التمثال لرجل «هو احدى مفاخر الشرق الكبرى» وابرقت لجنة العصبة الوطنية اللبنانية في مصر في ٦ آب طالبة الطلب ذاته

وكان الكاتب الكبير السيد نعوم مكرزل صاحب «الهدى» قد سبق الجميع وابرز هذا الفكر الى حيز العمل بموازرة مجيّة الشرق وكل ما يتعلّق به السيدة ماري

---

١) راجع جرائد بيروت في ٦ و٧ و٨ آب ١٩٢٥

٢) راجع جريدة «ابو الهول» عدد ١١٠ و١١٣ في ١٢ و١٥ اب ١٩٢٥

عزيز خوري والشاعر الفنّان السيّد جبران خليل جبران . وتعهّدوا بانجاز التمثال على نفقتهم الخاصّة . ومما قالهُ جناب المقترح : «هنيئاً للمدارس التي سيقود عقلاء رؤسائها التلامذة الى حيث يقام نصب سليمان البستاني ويسألونهم الاقتداء به . . .»

هذا ما عنى التمثال اما شارع سليمان البستاني فقد ارسلت جمعيّة لبنان الفتى في مصر برقيّة هذا مضمونها :

«لبنانيو مصر يلحّون باسم الوطن في ان تُطلق بلدية بيروت اسم سليمان البستاني على شارع من اكبر شوارع العاصمة اللبنانية عملاً بالواجب الوطني والادبي»

واننا الى الآن ننتظر رأي البلدية . . .

(النابغين والآثار) رأت جريدة «الهدى» الغراء ان تجمع في كتاب خاص كل ما قيل في رثاء الفقيد من نثر وشعر وهي تستعد الآن لاصدار ذلك الكتاب الذي سيكون شاهد عدل على تقدير العالم العربي منزلة العلم والادب

وقد ذكرت ايضاً انها ستجمع «ما لا يزال غير مطبوع من كتاباته حتى لا تخسر الأمة والآداب خسارة فوق خسارة» وفقها الله واخذ بيدها

وهناك اقتراح آخر كانت هي اول من ذكرته وهو اقتراح يطلب بحثاً وتفكراً طويلاً ألا وهو اكمال دائرة المعارف . الاقتراح جميل والعمل خطير يخلّد للمهاجرين والكل لبناني يشترك فيه الذكر الحسن ولكني ارى انه اذا بوشر باكمال دائرة المعارف وجب اعادة طبع كل ما انتهى منها الى الآن لان الحالة العلميّة والادبيّة الآن ليست هي لاربعين سنة خلت . . . وعلى كلٍّ فانّ البريد لم يحمل لنا ابحاث اللجنة المذكورة بهذا الخصوص

١١ اخلاقه وصفاته

درسنا حياة ذاك الجبّار الراحل ورأينا ما قام به من الاعمال الادبيّة التي تعجز عنها اللجان العديدة وما ناله من المناصب السياسيّة التي قلما اجتمعت للبناني فكان في كلها المثال الاعلى يقتدى به ويسار على آثاره

هذا سليمان البستاني وقد كان عظيماً في آدابه عظيماً في سياسته وادارته . واني لاراه اكثر عظمةً في اخلاقه وصفاته واقرب الى قلوبنا بقلبه الكبير

١ عزمه وقوة ارادته

«كان في دولة السيوف وزيراً العيًّا ودولةً في ذاته» (ايليا ابوماضي)

هذا القول «كان دولةً في ذاته» ! هذه لعمري اجمل كلمةٍ يُنعَت بها انسان . ان تملك البستاني على نفسه لهو اعظم من تبوئه كرسي النيابة ومقعد مجلس الاعيان وتربُّعه في دست الوزارة

ومن الادلَّة على شديد عزمه انه كان ذات يوم من السنة ١٨٨٧ في ادارة المقتطف في مصر يصلح مسودَّة مقالته عن البدو والصَّلَبة (١ . فقال له رئيس التحرير في اثناء الحديث : « ارى أن تعمل ما لم يعمله الاوائل من ابناء هذه اللغة فقال: وما هو ؟ قال: ان تترجم هوميروس . . . » قال رئيس التحرير: «ففكر قليلًا ثم قال: سأفعل»(٢ وان من قرأ الالياذة او سمع بها يعرف ما في هذا الوعد من شدَّة عزم وقوة ارادة روَّضها صاحبها السنين الطوال فاصبحت طوع بنانه . وقد قال رحمه الله في مقدّمة ذاك الكتاب النفيس ذكرًا لحكايته في تعريبه :

«جاءتني الفكرة وانا مع عائلتي في خطورة الموقف ووعورة المسلك وطول الشقّة . . . وعزمت منذ ثبتُّ اول بيت منها على ان لا اغادرها حتى آتي على آخرها» (٣ . . . وهكذا كان

ويلحق بقوة ارادة صبره وثباته على العمل . فقد صمَّم على ترجمة الالياذة واتمَّها بعد سبعة عشر عاماً فصبر طول المدَّة على هذا العمل الصعب

وكان ثباته في مبادئه كثباته في اعماله لا يزحزحه عنها مناظرة ولا مشاحنة اذا تأكَّد صحَّتها وقد قال عنه المرحوم جرجي زيدان :

«. . . واذا باحثته في موضوع تؤنس منه ليناً في جداله فتستضعفه وتحسبه لا يلبث ان يتحوَّل عن رأيه فاذا خبرته رأيته ثابتاً في ما يراه او يعتقده مع اعتدال ورويَّة» (٤ فهو كما وصفه الاديب نوم المكرزل : « كلُّها صوارم قوي »

فهذه امثلة من ثبات البستاني فهلَّا اقتدينا بها ونجونا من بلايا الشرق عدم الثبات

---

١) راجع المشرق (تشرين الاول ١٩٢٥) ص ٧٨٦

٢) راجع المقتطف (آب ١٩٢٥) سليمان : البستاني (٣٦١-٣٦٧)

٣) مقدمة الالياذة ص : ٦٩

٤) جرجي زيدان . سليمان البستاني . الهلال (١٧ [١٩٠٨]: ١٧٦-١٨٠)

الذي كان ولا يزال العلة الكبرى في اعمالنا ومشاريعنا !

٢ تربيته

ولد البستاني مارونياً وقيض له الله ان يصرف طفوليته واول صباه في ظل اسقف جليل زرع في نفسه الطريّة حبّ الله ودينه فترعرع على هذه المبادئ الصالحة وتأصلت في قلبه فلم تتزعزع . . . كان مارونياً كاثوليكياً طول حياته لا بالاسم فقط بل بالفعل يقوم بواجباته الدينية خير قيام كما اخبرني ثقة من اصدقائه . فكان يعلن بثباته انّ الانسان ، على قول باستور ، يقدر ان يكون في وقت واحد كاعظم العلماء معرفةً وكاحقر الفلاحين ايماناً

وكان ايمان فقيدنا حيّاً ممزوجاً بمحبة واحترام . يظهر ذلك خاصّة في شرحه للالياذة وتعليقه على خرافات اليونان الاقدمين ومقابلته لها بما جاء في العهد العتيق فانه يروي ذلك على سبيل المقابلة مميزاً ما جاء في التوراة عن الاقاصيص الخرافية (١

اما ثقته بالعناية الالهية مع اتكاله على الحق سبحانه فكانت قوية ثابتة تبدو في كل اعماله وكثيراً ما ردّد آية المزامير (مز ١٢٦) والبيت من نظمه (الالياذة ص ٦٦٧) :

ولا يقوم بناء لا تُخيط به عين العناية الّا ثابتُ الخَلَلِ

وكفى دليلاً على تلك الثقة وذاك الاتكال صبره الجميل وتحمّله الآلام المبرّحة التي اصابته في اواخر الحرب في سويسرا والتي خلّد ذكرها بقصيدته الخالدة «الداء». صبر على آلام جائرة وصبر على علاجات مرّة لم تكن اقلّ وجماً وتبريحاً من تلك الآلام وفيها يقول بعد وصفها :

فذا داني وذاك علاج دائي ولست بسالم إيّاً امرأ (٢

---

١) وروى عنه الخوري منصور اسطفان تزيل نيويورك قال : « في آخر مقابلة كانت لي معه ونحن اربعة في نزل سان جورج بيروت كلن وقد سبقت وفاته اسبوعاً واحداً كان يقص علينا حديث شقيقة له ورعة تقيّة فسأله احدنا : «وانت؟ . . . » فقال وهو يبتسم كعادته ما حرفيته : انا مؤمن ولكن بعقل اكثر منها . ثم اتمّ حديثه رحمة الله عليه »

٢) الداء والشفاء – الطبعة الثانية مصر ١٩٢١ ص : ٤

وكان رحمهُ الله يعمل كثيراً للتمييز بين الدين والتعصب الديني وخصوصاً مـا ينطوي عليه هذا التعبير الاخير من المعاني التي اكثر الخلط فيها بعض الكتبـة ولم يزالوا يخلطون. قال في كتابه «عبرة وذكرى (ص ٩٠) في باب «الدستور والتعصب»: «التعصب دينياً كان او جنسياً اذا لم يتجاوز حب الدين والجنس الى بغض من خرج عنهما فليس بالخلة المذمومة...»

وهكذا كان عالمنا متعصباً بالمعنى الشريف اي محباً لدينه وجنسه وغير متعصب بل باغضاً التعصب بالمعنى السافل. فكان مع حبه لدينه يحترم ديانات الآخرين ويبذل استطاعته في سبيل التوفيق بين ابنائهـا. واي دين يحتم على الدائنين به ان يبغضوا مخالفيهم ؟؟؟

ومن نتائج تدينه انه كان حريصاً على القيام بواجبه مقدّرًا كل شخص قدره غير باخس احدًا حقوقه وهو القائل:

شؤون ذوي الشأن مرعيّةٌ ولو أعلَت الارض انذالها
ولا يرفع النسلَ الّا ذووه فلا تبخس الناس اعمالها

وكان قليل الوعد حريصاً على الوفاء لا يعد حتى يعلم من نفسه المقدرة على القيام بوعده. وقد قال في ذلك:

وفي الصدر فاحفظ وعُودك دهرًا او اقطع لسانك إن قالها

وكان في اعماله ومصالحه نزيهاً ابيَّ النفس يكره المهلأة والخداع واستعمال الاساليب المعيبة في سبيل الحصول على وظيفة عالية او لقب مجيد او مال غزير. وقد ابت عليه نفسه الكبيرة الصغر فلم يتذلل قط في حياته وهو القائل:

كفاك عفافٌ على عزّةٍ تؤيد بالفضل إخلافها
ولا تمنِ رأساً ولا تُدنِ نفساً تقطّع بالذلّ ارصالها (١)

وهو لم يلزم الحياد فقط في مثل هذه الامور بل كان يرفض الالقاب والاوسمة. وهذا امر يعرفه كل من كانت له ادنى علاقة بالبستاني. ومن حديثه مع السلطـان محمد رشاد ان الخليفة اراد ان يمنحه لقب باشا مكافاةً له على خدماته في سبيل الدولة

١) راجع مجلة الآثار (٣[١٩١٣-١٩١٤]: ٢٩٧-٢٩٨).

فاعتذر سليمان بلطف قائلاً انه « ديموقراطي في بلاد ديموقراطية » . واذ صار وزيراً أجبر السلطان على ان يأمره امراً بقبول الادسة المختصة بالوزارة فقبلها ولم يُشِرْ اليها الا قليلاً في بعض المواقف الرسمية وكان يتحاشى جهده إظهارها

وكان ابغض شيء لديه الرشوة والمخاتلة يعتبرهما كعدوَّيه اللدودَين . وكان غاية امانيه ان يعمل واجبه فيخدم وطنه وأمَّتهُ بصدق واخلاص وعفة تراح اليها نفسهُ الكبيرة ولو قادته تلك العفة الى الفقر . وقد قال فيه الشاعر محبوب الخوري الشرتوني :

كنتَ الوزير وكنتَ المستشار فلم تَمدُدْ يديك الى مالٍ ولا نشبِ
ايَّامَ كفُّك في الالقاب مطلقة لكن عففتَ فلم تطمح الى لقبِ

ثم قال وفي قوله عظة يجدر بنا ان نستفيد منها :

قم خبِّر النشء في لبنان كيف جرت بك المطامحُ ترجيها الى الرتبِ
ما ان هززتَ امام العرش مبخرةً ولا خدمتَ لما ترتاد من ارب
ولم تقف قط في ابواب مقتدرٍ ولم تعفِّر جبينَ النُّبل في عتبِ
وا لوعتي ليس في لبنان مدرجةٌ الى العلى غيرَ حدِّي الراس والحدبِ

وكان للفقيد في ادارته من حصافة الرأي وبعد النظر ما نراه في باب رجال السياسة

٣ تواضعه — سعة صدره — لطفه ورقته

كان ما ازداد في العلم صعودًا زاد فيه اتضاعُهُ عن سدادِ
كلما من السنابل ما ازدا دَ امتلاءً حنى بتدر ازدياد

(الخوري بشارة ابو هنا)

من صفات العلماء الحقيقيين التواضع والدعة وقلة الادّعاء . ومن صفات ذوي الصبغة السطحيَّة التبجّح والثقة بعلمهم ومعرفتهم . ولمَّا كان البستاني من اكابر العلماء احبَّ ان يماثل تواضعُهُ علمَهُ . وان اصدقاءه ومعارفه ليروون عنه كلَّ نبذة يقف الانسان حيالها حائرًا خجلاً من نفسه . . . ولم يكن تواضعه تصنعاً كما ياتيه البعض فيشوّهون به هذه الفضيلة السامية بل ذلك في طبيعته يظهر بكل بساطة واخلاص كما لاحظ جميع من عرفه او سمع عنه . ودونك ما كتبهُ في مقدّمة كتابه عبرة وذكرى (ص ١٠)

ولم يكن المؤلف دخل محيط السياسة بعد :

« وانا وان لم نكن من ابناء السياسات فانَّ علينا فرضاً يترتب قضاؤه وهذه دَلْوُنا بين الدلاء . . . »

واي تواضع اكثر طبيعيَّةً وبساطة من قوله في مقدمة الالياذة (ص ٦٨) بعد ان ذكر مطالعاته شذرات بعض الملاحم وبعض منظوماته القصصيَّة التي كان يلهو بها في صباه

« فلما حكمتُ نفسي واصبحت متصرفاً مطلقاً في استعمال اوقات الحلة ادركت انني لم اعرف شيئاً مع سابق الظنّ بسعة الاطلاع فانتهيت الى حيث كان يجب ان ابتدئ »

هذه عظة مفيدة يجب ان ينقشها بماء الذهب كتَّابنا وعلماؤنا المدَّعون وهم كثيرون . . .

ومن آيات تواضعه ايضاً ما رواه عنه السيد اسعد الملكي وكان قد خطب مرحّباً به في المأدبة الفخمة التي أقيمت تكريمه في نيويورك سنة ١٩٢٤ قال (الهدى عدد ١٤ تموز ١٩٢٥) :

« قلت فيه ما لا يزال اذكر منه بعض : « ان البستاني هو العربي الوحيد الذي بدَّد اموانه وعمره وصحته في خدمة العلم بل في خدمة امته ولم تُعدْ عليه تلك التضحيات بجزء من مليون جزء مما يستحقه علمه وعمله . فلو وُجد البستاني في احدى البلدان الغربية لاستغنى من علمه واثرى من قلمه . ولنُصب له مواطنوهُ تمثالاً راسه من الفضة ودماغه من الراديوم وعيناه من الماس وعنقه من الياقوت وصدره من الذهب وذراعاه من الفولاذ واصابعه من العاج تخليداً لذكره وقياماً بحق شكره »

(قال الكاتب) : « فبعد انتهاء الحفلة امسكني بيدي وقال : « ان وصفك للتمثال الذي اردتَهُ لي جميل جدًّا ولكنك اردت ان تكبّرني في عيون الناس فصغرتني في عيني نفسي »

وكان رحمه الله مع تواضعه واسع الصدر طويل الاناة كثير الحلم عارفاً بنقائص البشر غفوراً لها اذا ذمَّه احد وهو من القليل النادر وأُخبر بذلك تبسَّم وقال والشعر له :

وخلِّ الحسودَ على كبده فانَّ من النار أكلها
اذا البرْض زينَ بطيب الفعال وسوء المطالب ما طالها
فلست ابالي بقبلي وقال ولو سنَّت الألسُن انبالها

قال علي بن ابي طالب : « ثلاثة من كنوز الجنة : كتم العلة وكتم الحسنة وكتم

المصيبة» فاذا صحّ ذلك كان البستاني نائلًا هذه الكنوز بما كتمه في صدره الرحب الواسع . . . فكم علّة تحمّلها بصبر غير مقلق الجمهور بترديد ذكرها ! وكم حسنة اتاها تحت ستر الخفية ! وكم مصيبة مالية او ادبيّة تصبّر لها بلا امتعاض ولا تذمّر ! والله اعلم هل كان موفّقًا بتجاراته او سعيدًا في داخليّة بيته !!!

ومن طبائعه انه كان لطيف المحادثة رقيق الجانب بشوشًا لا يدّعي ولا يتبجّح ولا يحب كثرة القول بل كان «يؤثر الصمت والتفكير على الكلام والمباهاة فلا يحدثك بحديث الّا اذا استدرجته اليه فيأخذ الكلام طلقًا شهيًا وتقف انت امامهُ معجبًا بسعة اطلاعه مثلًا بخمرة بيانهِ تحاذر ان يتمّ حديثه فتفوتك لذته وتُحرم طلاوته» (١ وقال فيه خليل مطران :

خُلُق ثابتٌ ولفظ رقيقٌ وفؤاد طودٌ وطبعٌ نسيمُ

وكان يكلّم كل انسان بحسب محيطه ومعارفه وهي خلّة قلّما اتّصف بها العلماء اذ يأخذون ببسط آرائهم العلميّة والفلسفيّة امام جمهور لا يدرك منها شيئًا . زارونا رحمه الله مرةً في دير القمر سنة ١٩٠٨ فاقبلت عليه عجوز بسيطة القلب من ذوات القرى تتهلل فرحةً به ولما وصل اليه قالت :

«تقبرني قديش سافرت بزمانك وقطعت بحور وجبال . . . حاجتك ما حلّك تتعب وتستريح» . . . (فابتسم واجابها ببساطة تعادل بساطتها) : «نعم يا مراة عمي سافرت كتير ولكن ما كنت روح ماشي» . . .

ونشاهد هذا اللطف في كل محادثاته ورسائله . . من ذلك ما كتبه الى السيّد اسكندر شمعون صاحب جريدة السلام في الارجنتين وهو اذ ذاك عضو مجلس الاعيان . قال في بدء رسالته (في ٤ شباط ١٩١٠)

«شكرًا لكم على ما ابديتم من حسن الظن بي في كتابكم رقم ٢٦ ك ١ وان غاية ما تطمح اليه نفسي ان يتيسّر لي القيام حق القيام بالخدمة التي انتُدبت اليها . . .» (وختمهُ بقوله : «هذا ما يسعني الآن ان اكتب اليكم واثقًا انكم وجميع اخواننا واخواتنا المهاجرين والمهاجرات لا تزالون تنظرون الينا بالعين التي تنظر بها اليكم — سليمان البستاني»

وكان شديد الحرص على عفّة لسانه لا يقول الّا الصدق ويحاسب نفسه على

١) بولس غانم : من هو سليمان البستاني — لسان الحال في ٣ — ٦ آب ١٩٢٥

لفظة فلا يقول جزافاً في جدّ ولا هزل . لا يغتاب ولا يسمح بالاغتياب . لا تخرج الكلمة من فيهِ الّا موزونة محكمة كانه سيحاسب عليها في مجلس القضاء» (١ وكان يتجنب كل كلمة تخدش ولو قليلاً ارقّ الآذان والطفها فلا يقولها ويظهر الاشمئزاز اذا قيلت امامه . وكان ابغض شيء لديهِ ادخال الكلم البذيئة في المحادثة وكثيراً ما لام في كتاباتهِ بعض شعراء الجاهلية والاسلام لبذاءتهم (٢ وذلك مع حبه لشعرهم

٤ قلبهُ

قَتَلَ البستانيَّ قلبهُ ! (نعوم مكرزل)

هنا يقف القلم بتهيُّب واجلال ، امام هذا القلب الكبير الطافح . امام اجلّ مظهر من مظاهر الكمال في ايامنا . . . وماذا اقدر ان اقول عن قلبه الطاهر المحب المخلص المتفاني في خدمة القريب . . .

كان قلب البستاني كبيراً فأحبَّ كثيراً ، واخلص كثيراً واشتغل كثيراً . احب وطنه واحب قومه واحب اهله . اما محبته لوطنه وخدماته العديدة في سبيله فنذكرها في باب رجل السياسة . واما حبه لقومه واخلاصه لهم وتفانيه في خدمتهم فظاهر في كل اعماله واقواله واصح شاهد عدد صدقاته الكبير وما كان لهم فيهِ من الثقة العمياء وما كان له في قلوبهم من المنزلة العالية . فكانوا يأتونه باسطين لديهِ اعمالهم ومشاريعهم وافكارهم حتى اسرارهم الداخلية وهمومهم المنزلية فيقبلها بكل لطف ويعطيهم النصائح المخلصة والآراء الصائبة . وقد رأيناه اذ كان في المدرسة ينصح رفاقه بكل اخلاص وهو بعد خروجه منها لم يغيّر شيئاً من عاداته هذه . وكان للصداقة في عرفه معنى سام لا يفهمه الّا كبير القلب وسليم الطوية . وكم رأيناه يبذل ماله ويعرّض بنفسه في سبيل صديقه . . .

كان في بغداد سنة ١٨٨٩ وله فيها صديق اتاها وحيداً فنزل في احد الفنادق . وكان أن داهمَ بغداد في صيف تلك السنة مرض الهيضة (الكوليرا) فهرب بعض اهلها الى الضواحي حيث نصبوا خيامهم على ضفاف دجلة شرقاً وغرباً وكان الفقيد

١) جرجي زيدان : سليمان البستاني — الهلال (١٧ [١٩٠٨] : ١٧١—١٨٠)
٢) راجع مثلاً شرح الالياذة — نشيد ٣ ص : ٣٦٥-٣٦٦

من جملتهم فترك المدينة وخيّم غربيّها على بعد عشرة كيلومترات . وما مضت مدة حتى أخبر بان صديقه المذكور آنفاً اصيب بالمرض المشؤوم فسار مسرعاً الى الفندق فاخذ الصديق الى منزله حيث عالجه رغم تحذير الاطباء . . . وقد اخبرني بهذا شقيق ذاك الصديق

ووردني من سيادة المطران اثناسيوس اغناطيوس نوري(١ انه أصيب بذلك الوباء «المدعو توماس بن ارتين ابكيان الارمني وعمره نحو ١٥ سنة فتباعد اكثر المخيمين عن المصاب وانتقلوا الى مكان آخر . اما الفقيد فمكث يمرضهُ ويعزّي والديه وقد فاضت روح الفتى وهو على صدره . وتحدثوا بمروّته هذه في كل العراق»

وفي العراق ايضاً احتال بعض المقربين اليه فاخذ اموالاً كثيرة على اسمه وهرب ولمّا استحق المال الى الدائنون سليمان ولا علم لهُ بشيء فدفع كل ذلك واخفى الامر

واذ كان في شيكاغو سنة ١٨٩٣ طلب اليه احد اصدقائه مبلغ الف ليرة لتحسين تجارته في تلك المدينة فاعطاه فكتب لهُ الصديق كمبيالة بالقيمة . وبعد مدة حصلت ازمة شديدة قضت على اموال ذاك الصديق . . . فمزّق سليمان الكمبيالة ولم يعلم احد بذلك . وخسر هو ايضاً في ذاك المعرض المشؤوم خسارة تقدَّر بخمس وعشرين الف ليرة . وكان له شركاء في المعرض فابى ان يشركهم بالخسارة

يتذمّر البعض عند قراءة هذه الحوادث ويقولون ان ذاك تهوُّر لا لزوم لهُ . فهم يقولون ذلك لعدم فهمهم معنى الصداقة ومحبة القريب المخلصة . ومن آثارها في قلب الفقيد انه كان حسن الظن بجميع الناس لا يشكّ في احد الّا اذا أُجبر على ذلك

---

١) نشكر سيادتهُ على ما افادنا عن شركة المراكب التي ذكرناها (في المشرق ص ٧٨٦) فقلنا انها كانت عثمانية «خديوية» والصواب انهُ لم يكن دخلٌ فيها للخديويّة . ومن افادات سيادته انَّ الفقيد لم يتزوّج من ابنة انطون البغدادي الكلداني كما رويناه (ص ٧٨٦) بل من ابنة «بربوس الارمني البغدادي واسمها مريم وخالها انطون يوسف عبد المسيح البغدادي الكلداني» — وقد نبّهنا حضرة الشيخ عبدالله البستاني الى ان سلوم جدّ الفقيد لم يكن شقيق المطران بطرس كما ذكرنا (ص: ٧٨٠) بل شقيق المطران عبد الله بن نادر . وعليهِ يكون نسب المترجم هكذا (راجع الصفحة ٧٨٠ سطر ١٧): سليمان بن خطار بن سلوم شقيق المطران عبد الله بن نادر بن ابي يوسف ناصر . . . ابن ابي محفوظ البستاني . اما المطران بطرس فهو ابن الخوري يوسف بن شلبي شقيق المطران عبدالله وشقيق سلوم ايضاً . فلهُ خالص شكرنا

بمعاملاته بعد تجربة اخلاصه غير مرّة . وكان فاتحاً قلبه كل ساعة لقبول المرتشفين من منهله فيعطيهم الارشادات والافادات المختلفة سواء تعلّقت بالتجارة ام بالآداب او بالنفس . وكثيراً ما خفّف من غلواء الكتّاب والشعراء العصريين في مصر وارجع المتطرّفين الى سواء السبيل فمشوا فيه شاكرين

وقد اكتسب بهذه الصفات حبّ الناس واعتبارهم وامتلك جميع القلوب فاجمعت على اكرامه . وقال عنه المرحوم جرجي زيدان وكان من اصدقائه المنتفعين بنصائحه :

« . . . فنراه على علوّ كعب في العلم ليس له حسّاد ونرى اصحابه مجمعين على تعظيمه . فلما نشر الياذته احتفلت التراتة السورية باكرامه بوليمة ذاع ذكرها في الخافقين وهو اول احتفال علمي بالشرق واصبح الاحتفال بالعلماء بعده عادة متّبعة . ولمثل هذه المناقب انتخبه البيروتيون في انتخابه . فكان اول من جمعهم على خيره (١

ومن قضائيه في حبّ بني قومه واخلاصه لهم انه كان في نيويورك حتى آخر ساعة من حياته ينظم بلغة بسيطة ساذجة امثالاً مأثورة عن ايزوب ولافونتين كي يتعلمها صغار اللبنانيين . . .

أما حبه لاهله فحدّث عنه ولا حرج . تقدر الانسان ان يتوسّع فيه ما شاء ولا يبالغ ! كان ذا عاطفة حيّة وحاسّة عالية في الرقة والحنو وكان براً بوالديه حتى التضحية لا يبخل بنفسه لارضائهما في هذه الدنيا وتعزيز ذكراهما في الآخرة . ودونك مثلاً يبرهن عن ذلك

كان رحمه الله في مصر اذ انتهى من تعريب الالياذة وانتشر الخبر بعزمه على طبعها . فاتاه احمد شوقي بك شاعر الخديوي السابق موفداً من قبل مولاه . فطلب الى المعرّب ان يقدّم كتابه الى الخديوي عباس حلمي ووعده بكبير المكافأة . فاعتذر بكل لطف . فتعجب شوقي وساله مختاراً غير متصور كيف يرفض انسان مثل هذا الطلب : « والى من اذن ستقدمه ؟ إلى وزير خطير ؟ ام الى عالم كبير ؟ ام انت مهديه الى سدة احد الملوك العظام ؟ » فاجاب المترجم : « لا الى هذا ولا الى ذاك بل الى من هو اعزّ عليّ من جميع من ذكرت » . فدهش شاعر مصر وقال : « ومن هو هذا الرجل الكبير ؟ » فاجاب : « هو رجل له وحده عليّ الفضل الخالد . . . » . ولم يمض

١) جرجي زيدان : سليمان البستاني - الهلال ١٧ [١٩٠٨] : ١٧٦ - ١٨

القليل على ذلك حتى صدرت الالياذة الكبيرة ويصدرها رسم خطّار سلوم البستاني وتحته هذه العبارة الخالدة :

« اليك يا والدي أهدي كتابي هذا فانت اولى به من كل حيّ وميت وما هو الّا ذرّة من فضلك وجزء من عنايتك بينيك وتفانيك بنفع ذويك وبني جلدتك . فان عجزتُ عن اداء واجب الوفاء بحياتك فلا اقلّ من ان اشهر الملا على عرفاني جميلك وانت في عالم الارواح »

وكل تعليق يقصّر في ايفاء هذه العاطفة حقّها !

هذا مظهر من مظاهر قلب البستاني الكبير الرقيق الذي يجعل المرء يتأسف على خسارته اكثر من تأسفه على رجل العلم والسياسة والادارة . . . ولربما لو كان البستاني انانيًّا غليظ القلب محبًّا لراحته نابذًا منفعة غيره لربما عاش طويلًا . ولكن بئس الحياة حياة لاينفع بها الانسان قومه ووطنه . . . ولا غروَ بعد ان درسنا هذا القلب اذا قلنا مع السيّد نعوم مكرزل :

« مات البستاني من قلبه ! قتل البستانيَّ قلبهُ ! والقلوب الكبيرة تقتل اصحابها لانها تشتمل كثيرًا وتحب كثيرًا وتعطف كثيرًا فمتى نفد ما جا او كاد في سبيل الورى انفلت فسكنت تلك الحركة الخافقة »

هذا هو البستاني بقلبه الكبير وهو في عرفي اقرب الينا ، اقرب الى قلوبنا من البستاني عالمًا والبستاني سياسيًا والبستاني وزيرًا . ومن كان قريبًا الى القلوب فهو حيٌّ بحياة القلوب

٥ مهابته وجلاله

عزمٌ شديد تديّنٌ صحيح تواضعٌ وسعة صدر محبةٌ خالصة وقلبٌ كبير ونية سليمة كل ذلك كان في البستاني فزيّنه بمهابة يقف امامها الرجل فلا يسعه الّا الاكرام . وزاده الكبر والشيب وقارًا وجلالًا رفعاهُ الى اسمى مقام في عيون خلّانه واصدقائه وكل معارفه فاصبحوا يستفيدون من تعليمه وهم كالاحداث البسطا . . . ولنا من كتابات ادباء اميركا الذين عرفوه حتى مماته ولامسوا روحه الطاهرة اصدق دليل : قال السيد نعوم مكرزل في «هداه»

« من الناس من يجروه اصدقاؤهم عليهم بعد معاشرتهم الطويلة وتسقط كل كلفة عند التهم -

اما الفقيد الكبير فكان كلما طال العهد في معاشرته كلما زاد الاعتبار والمحبة له» (١)

وقال السيد ميخائيل نعيمه بعد ان تحدّث اليه :

«وكبرَ محدثنا في عيني حتى خجلت من نفسي لانني لم اقدّره كل قدره لاول نظرة القيتها عليه . . . انني وحدته من الرجال الذين قد تراهم بين الجماهير فلا يستوقفون بصرك بشيء لكنك اذا اجالستهم في مجلس تأتلف روحه مع ارواحهم . يفتحون قلوبهم ويبسطون افكارهم فتحسّ انك في حضرة من اصطفتهم الحياة آنية لجانب من جزيل خيراتها وثمين هباتها» (٢)

ونختم هذا القسم بما ذكره في جريدة السائح في عدد ٢٢ حزيران السيّد جبران خليل جبران وكان ملازماً للفقيد حتى موته قال :

«من منا عرف وجلا في السبعين اذا مدحه احد على عمل تورّدت وجنتاه حياء كان لم يزل صبياً في السابعة واذا لامه احد لانه انصرف عن العلم والادب الى السياسة يقول مكتئباً : «نعم قد اسأتُ الى نفسي على انني ارجو انني لم أسئ الى احد . .»

«لا انسى ولن انسى ليلة جمعني وسليمان البستاني بعض الاصدقاء حول مائدة انيقة . وبينما نحن نتباحث في الفن والادب التفتت اليّ سيدة ذات منزلة معتبرة وقالت لي : «انا اجهل اللغة العربية ولا اعلم شيئاً عن السياسة الشرقية لذلك لا استطيع معرفة قدر هذا الشيخ الجليل ولكنني لما صافحته وابتسم لي تمنيت لو لم يمنعني الخجل عن تقبيل يده . .»

«وبعد يومين زرتُ البستاني ورددت على مسمعه كلمات تلك السيدة فلم يقل كلمة قطّ بل ظهرت على شفتيه تلك الابتسامة الحلوة ثم تساقطت دموعه السخيّة على لحيته البيضاء . . . تلك دقيقة نادرة ابانت لي حقيقة البستاني بكل ما في تلك الحقيقة من السذاجة والاحتشام والرقة تلك دقيقة تعني فيها البستاني اكثر مما لا يقاس من اي كتاب وضعه ومن اية قصيدة نظمها»

(لها بقية)

---

١) الهدى في ٩ حزيران ١٩٢٥

٢) ميخائيل نعيمه : سهرة مع سليمان البستاني – السائح في ٢٢ حزيران ١٩٢٥